حكايات من القرآن

١٨

عم الرسول أبو لهب

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أَخَـذَتْ (بُشْـرى) وَرَقـةً مـن مُفَكِّـرةِ الحَـائِـطِ وقَلَّبَتْها ، فَوَجَدَتْ مَكْتُوباً عليها أَبيْاتاً من الشِّعْرِ ، منها:

عَليـكَ بِتَقْـوى اللهِ فـي كُـلِّ حـالـةٍ

ولا تَتْـرُكِ التَّقْـوى اتِّكـالاً على النَّسَـبْ

فَقَـدْ رَفَـعَ الإِسْـلامُ سَلْمـانَ فـارسٍ

وقَدْ وَضَعَ الكُفْرُ الشَّريفَ أبا لَهَبْ

فَفَهِمتْ من البيتِ الأولِ: أنَّ النَّسَبَ والقَرابةَ لا يُفِيدانِ في مَسْألةِ الأَعْمالِ... إنَّما الذي يُفيدُ هو العَمَلُ الصَّالحُ ، وبالتَّالي فإذا كان الإِنْسانُ أَسْوَدَ وعَبْداً فقيراً ، وعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فإنَّه قَرِيبٌ مِنَ الله.. قَرِيبٌ مِنْ رَسُولِه...

وأمَّا إذا كان مِنْ أَقْربِ النَّاسِ إلى رَسُولِ الله ﷺ.. وقامَ بِعَمَلٍ فَاسِدٍ، فإنَّه سَيَلْقَى الجَزَاءَ السَّيِّىء.. ولن تَنْفَعَه قرَابَتُه من رَسُولِ اللهِ ﷺ.

ولكنَّ (بُشْرى) وقفتْ عندَ البيتِ الثَّاني.. ورَدَّدَتْهُ مرةً تِلْوَ مَرَّةٍ ، فما فَهِمَتْ مَقْصدَ الشَّاعرِ تَماماً..

تَوجَّهتْ إلى غُرْفةِ جَدِّها (الشَّيخِ حُسين) فلم تَجدْهُ ، فخرجتْ تبحثُ عنه.. لكنَّها لم تَجِدْه في كُلِّ أرجاءِ البيتِ ، فَخَرجتْ إلى حَدِيقةِ البيتِ ، فَوَجَدَتْهُ جالساً تَحْتَ شَجَرةِ (الدُّرَّاقِ).. حَامِلاً بِكِلْتا يَدَيْهِ كِتاباً ، واضِعاً على عَيْنَيْهِ نظَّاراتٍ سَمِيْكةً!!

فَتَسَلَّلتْ مِنْ خَلْفِه ، ووَضَعَتْ يَدَيْها على عَيْنَيه ، ثم قالتْ: مَنْ أنا أيُّها الرَّجُلُ الكَبِيرُ؟!

ولم يَعُدِ (الشَّيخُ حُسين) يرى أيَّ شَيء..!!

فَوَضَعَ يديه فَوْقَ يديها وقالَ: ومَنْ غيرُ المُشَاغِبةِ ، حَفِيدتي (بُشْرى)؟!

وهَكَذا أَخَذَها بيديه ، وأَجْلَسها في حضنه ، وقَبَّلها.. ، ثم أخذتْ منه الكتابَ وقَرَأتْ عُنْوانَهُ.. ثم قالتْ: آهٍ ياجَدِّي.. لقد قَبَضْتُ عليكَ مُتَلَبِّساً..!!

قال الجَدُّ وهو يَبْتَسِمُ: مُتَلَبِّساً بقراءةِ دِيوانِ شِعْرٍ؟!

سَأَلَتْ (بُشْرى): وهل تُحِبُّ الشِّعْرَ يا جَدِّي...؟

قال الجَدُّ: أَجَلْ يا عزيزتي.. ومَنْ مِنَ العربِ لا يُحِبُّ الشِّعْرَ...؟.. لقد اسْتَمَعَ رَسُولُ الله إلى الشُّعراءِ.. وكذلك كِبارُ الخُلفَاءِ.. وأكابرُ الصَّحابةِ...، فالشِّعْرُ دِيْوانُ العَرَبِ...

تَذَكَّرتْ (بُشْرى) قُصاصةَ الوَرَقِ التي في

جَيْبِها ، فَأَخْرَجَتْها ، ثمَّ قالتْ: إذاً ماذا يَعْني البيتَ الثَّاني من هذه القَصِيدةِ ، يا مُحِبَّ الشِّعْرِ والشُّعَراءِ؟!

أَخَذَ جَدُّها الوَرَقةَ من يَدِها ، وتَمَعَّن فيها..ثمَّ رَفَع نَظَّارَتَهُ قليلاً ، ثُمَّ أعادها ، وهوَ يقُولُ: آهٍ يا عَزِيْزَتي ، فَهَذِه المَسْأَلةُ لها أَهَمِّيةٌ كُبْرى في مِيزانِ الشَّرِيعةِ الإسْلاميَّةِ ، ولذلك هَيَّا نادِي إخْوَتك لأحْكِي لك حِكايةً تَخُصُّ هذه المَسْألةَ...

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

وما هي إلا لَحَظاتٌ حتَّى اجْتَمَعَ الأولادُ مع والدِهم ووالدتِهم ، حَوْلَ الجَدِّ ، وافْتَتَحَ الشَّيْخُ حِكايَتَهُ قائِلاً:

كما تَعْلَمُونَ يا أَحْبَابي! فإنَّ رَسُولَ الله ﷺ عِنْدَما قامَ يُبَلِّغُ دَعْوةَ الله سُبْحانه وتعالى ، كان

لـه أربعـةُ أَعْمـامٍ وهـم: حَمْـزةُ ، والعَبَّـاسُ ، وأبو طالبٍ ، وأبو لَهَب ، ويشاءُ الله أن يُؤمِنَ به اثنانِ ، هما حَمْزةُ والعَبَّاس ، ويُخالِفُه اثْنانِ هما: أبو طالبٍ ، وأبو لَهَبٍ...

وهكذا اسْتَمَرَّتِ الدَّعْوةُ مُدَّةَ ثَلاثِ سَنَواتٍ بِشَكْلٍ سِرِّيٍّ ، وذلك خَوْفاً مِنْ أذى المُشْرِكينَ..

ولمَّا جاء أَمْرُ اللهِ تعالى للرَّسولِ ﷺ بالجَهْرِ بها ، وذلك بِقوْلِه عَزَّ وجَلَّ:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٦].

فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ جَبَلاً في مَكَّةَ يُقالُ له جَبَلُ الصَّفا ، وراح يُنادي أَهْلَ قُريشٍ ، فلما اجْتَمَعُوا إليه.. قال لهم:

«أرأيتكم لو أَخْبَرْتُكُم أنَّ خَيْلاً بالوادي تريدُ أن

تغيرَ عليكم ، أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ؟».

قالُوا: نعم ، ما جَرَّبْنا عليك إلا صِدْقاً..

قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يَدَي عَذابٍ شَدِيدٍ».

فَوَقَفَ عَمُّه أبو لهبٍ ، وقال: تَبّاً لك سائِرَ اليوم ، أَلِهَذا جَمَعْتَنا؟

فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى سُورةً تُتْلَى إلى يَوْمِ القِيامةِ ، وحَكَم فيها أنَّ عَمَّ رَسُولِ الله قد خَسِرَ وخَابَ ، في الدُّنيا والآخِرةِ ، وقرَّر اللهُ تعالى أنَّ المالَ والجاهَ لن يَمْنَعَه من الدُّخُولِ إلى نارِ جَهَنَّم ، هو وامْرَأَتهُ ، وذلك لأنَّهُما كانا يُؤْذِيانِ رَسُولَ الله ومَنْ آمنَ معه ، قال اللهُ تعالى:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ ـ ٥].

سألَ (خالدٌ): ولكنْ كيفَ يَدْخُلُ أبو لَهَبٍ نارَ جَهَنَّم وهو عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ؟!

وتابعَ الجَدُّ حِكايَتَهُ الجَمِيلةَ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

هُنا يَبْرُزُ المِيزانُ الإسلامِيُّ يا أحبَّتي.. ، فاللهُ يُقَرِّرُ في القُرآنِ الكَريمِ أنَّ التَّقِيَّ الوَرِعَ العابِدَ.. الذي يُطِيعُ اللهَ هو الأَكْرمُ.. وهو الأَقْربُ من الله ورسوله ، سَواءً كان عَبْداً أم سيّداً ، فَقِيراً أم غَنِيّاً ، رَجلاً أم امْرأةً ، أبيض أو أسود... ، قَريبَ النَّسبِ أم بَعِيْده...

والعكسُ هو الصَّحِيحُ ، فحتَّى لو كان الإنسانُ ابناً لأحدِ الأَنْبِياءِ ، وهو غَيْرُ مُطِيعٍ لله فلن يُفِيدَهُ ذلك في شَيء.. والدليلُ على ذلك أنَّ ابنَ نَبِيِّ الله نُوح عليه السَّلامُ ، كان من المُغْرَقِينَ ، على الرَّغْم مِن شِدَّة قَرَابَتِه من نَبِيٍّ مِنْ أُولي العَزْمِ...

كذلكَ وحتَّى زَوْجةُ نَبِيٍّ مِنَ الأنبياءِ.. إذا كانتْ عاصِيةً لله.. فَقَرابَتُها من النَّبِيِّ لا تُقَدِّمُ ولا تُؤَخِّرُ.. والدَّليلُ على ذلك امْرَأةُ نَبِيِّ الله لُوطٍ عليه السَّلامُ ، وكذلك امْرأةُ نَبِيِّ اللهِ نُوحٍ عليه السَّلامُ...

ومِنْ جِهَةٍ أُخْرى ، فإذا كان الإنْسانُ لا يَتَّصِلُ بالرَّسُولِ ، من جِهةِ القَرابةِ والنَّسَبِ أبداً ،بل هو بعيدٌ كُلَّ البُعْدِ.. فقد يكونُ من بلادِ فارسَ أو من عبيدِ إفريقية ، وكان رَجُلاً تقيّاً.. فمعنى ذلك أنَّه قريبٌ من الرَّسُولِ قَرابةً كَبيرةً... ، والدليلُ على ذلك العبدُ الفارسِيُّ (سَلْمانُ الفارِسِيُّ) رَضِيَ اللهُ عنه...

قالتْ (أمُّ خالدٍ): إذاً يا شَيْخَنا ، سَلْمانُ الفارسيُّ رَفَعَهُ إيمانُه على الرَّغْم من عَدَمِ قَرابتِه مِنَ الرَّسُولِ ، بينما أبو لهبٍ وَضَعَهُ كُفْرُه ، حتى لو كان عَمَّ رَسُولِ الله.

قال الشَّيخُ: أحسنت لهذا الإيْضاحِ.. وهذا معنى قَوْلِ الشَّاعر ـ يا بُشْرى ـ:

فَقَدْ رَفَعَ الإسْلام سَلْمانَ فارسٍ

وقد وَضَعَ الكُفْرُ الشَّريفَ أبا لَهَبْ

فقالَ (أبو خالدٍ): لقد قرأتُ مَرَّةً كتاباً رائعاً، جاء فيه:

إنَّ إيمانَ (سَلْمانَ الفارسِيِّ) وحُبَّه للهِ وللرَّسُولِ، وتَفانِيه في خِدْمةِ الدِّينِ الحَنِيفِ، جَعَلَ رَسُولَ الله يقول: «سَلْمانُ مِنَّا أَهْلَ البيتِ».

بَيْنَما كُفْرُ عَمِّ رَسُولِ الله، وإيْذَاؤُهُ وتَكَبُّره واسْتِهْزَاؤُهُ، جَعَلَ القُرآنَ يُقَرِّر أنه وزَوْجَتُه سَيَدْخُلانِ نارَ جَهَنَّمَ...

عِداءٌ.. ما بَعْدَهُ عداء!!

وشَكَرتْ (بُشْرى) جَدَّها، ووالدها، ووالدتها

على هذا الإيْضاحِ.. ثم قالتْ: ولكن ماذا عن حِكايةِ أبي لَهَبٍ؟

وتبسَّمَ الجَدُّ ، وقال: كنتُ سَأُكْمِلُهَا لكم.. لكنَّكِ دائِمةُ العَجَلةِ..!!

ثُمَّ تابَعَ حِكايَتَهُ قائِلاً:

واسْتَمَرَّ (أبو لَهَبٍ) في إيْذاءِ رَسُولِ الله ﷺ ، ومَنْ آمَنَ مَعَهُ ، فتارةً يَطْرحُ النَّجاساتِ والفَضَلاتِ والقَذَرَ!!

وتارةً كان يَتبعُ رَسُولَ الله ﷺ في الأَسْواقِ والمَجَامِعِ ، ومَواسِمِ الحَجِّ.

سَأَلَ (طارقٌ): وماذا كانَ يَفْعَلُ عِندَما يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ؟!

تابَعَ الجَدُّ يقولُ: كانَ الرَّسُولُ يَدْعُو النَّاسَ إلى عِبادةِ الله وَحْدَهُ ، وإلى عَدَمِ الإشْراكِ بهِ وإلى نَبْذِ الأَوْثانِ والأَصْنامِ...

بَيْنَما كان عَمُّه (أبو لَهَبٍ) يَقُولُ لِلنَّاسِ: إنَّه ابنُ أخي.. يُرِيدُ أن يُبْعِدَكُم عن اللاَّتِ والعُزَّى ، إنَّهُ يُرِيدُ أن تَتْرُكُوا ما كان يَعْبُدُه آباؤكم وأجْدادُكم.. فلا تُطِيْعُوه ولا تَسْمَعُوا منه!!

وقَدْ رَوى أحدُ صَحابةِ رَسُولِ الله ﷺ واسْمُه (طارقُ بن عبدِ الله المُحارِبيُّ).. فقال: رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي أَحَدِ أَسْواقِ مَكَّة.. فتقدَّمْتُ منه.. والناسُ قدِ اجْتَمَعُوا حَوْلَه ، وهُو يقولُ: «أيها النَّاسُ! قُولُوا: لا إلهَ إلا اللهُ تُفْلِحُوا» وإذا رَجُلٌ خَلْفَهُ يَرْمِيه بالحِجارةِ وقد أَدْمَى ساقَيْه وكَعْبَيْه ، وهو يَقُولُ: يا أيُّها النَّاسُ! لا تُطِيعُوا هذا ، إنَّه كَذَّابٌ ، فلا تُصَدِّقُوهُ!!

فقلتُ: مَنْ هذا؟

فَقِيلَ: هذا غُلامٌ من بَنِي عَبْدِ المُطَّلبِ اسْمُه مُحَمَّدٌ زَعَمَ أنَّه نَبِيٌّ..

فقلتُ: مَنْ هذا الذي يَرْمِيهِ بالحِجارةِ؟!

فَقِيلَ: عَمُّه عَبْدُ العُزَّى أبو لَهَبٍ بنُ عبدِ المُطَّلب ، يَزْعُم أنَّه كَذَّابٌ...

حتَّى في سَاعاتِ الشِّدَّةِ!!

وهذا حالُ أبي لَهَبٍ بِشَكْلٍ دائِمٍ ، حتَّى في ساعاتِ العُسْرِ والشِّدَّةِ كان يُبْدِي كلَّ عَدَاوةٍ لِرَسُولِ الله ومَنْ آمَنَ مَعَهُ...

فَعنْدَما حاصَرَ أهلُ مَكَّةَ رَسُولَ الله ومَنْ معه في شعْبِ أبي طالبٍ ، وقاطَعُوهُم من كُلِّ الجِهاتِ.. وجاعَ القومُ ، ووَصَلُوا إلى حَدٍّ لا يُطاقُ..!

واسْتَمَرَّ الحالُ كذلك قَرابةَ ثلاثِ سِنينَ ، عِنْدَئذٍ كان أبو لَهَبٍ يُمارسُ كذلك أَبْشَعَ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ والحقْدِ..

فكانَ يأتي إلى التُّجَّارِ ، ويُعْطِيهم أكثرَ منَ

الثَّمَـنِ.. ويَشْتَـرِطُ عليهـم أن لا يَبِيْعُـوا إلـى المُسْلِمينَ!!

وعلى هَذا المِنْوالِ سارتْ زَوْجَتُه (أمُّ جَمِيلٍ).. فكانتْ تَشْتُم رَسُولَ اللهِ أنَّى رَأَتْهُ.. وكانت تُؤْذِيه وتُضايِقُه.. بل كانَتْ تَحْمِلُ الشَّوكَ والأَوْساخَ لِتَرْمِيها على بابِهِ..!!

وهكذا كان ابْنُه (عُتيبةُ) ، فقد أوقفَ شَبابَهُ وقُوَّتهُ لأذى المُسْلِمينَ ، حتَّى إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَعَا عليه ذاتَ يومٍ قائلاً: «اللهمَّ سَلِّطْ عليه كَلْباً من كِلابِكَ»...

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾

واسْتَمرَّتْ تِلْكُم العَائِلةُ التي يَرْأَسُها (أبو لَهَبٍ) في إيْذاءِ المُسْلِمينَ ، حتى ماتَ (عُتيبةُ) بأن سُلِّط عليه الأَسَدُ ، وهو في تِجارةٍ له إلى بِلادِ الشَّام..

ولما كَتَبَ اللهُ النَّصْرَ للمسلمين في غَزْوةِ بَدْرٍ ،

وانْهَزَمَ المُشْرِكُونَ شَرَّ هَزِيمةٍ ، جَلَسَ أبو لَهَبٍ في بَيْتِه ، وهو يَحْمِلُ الغَيْظِ والكَمَدَ ، حتى أُصِيبَ بِنَوْعٍ من الانْتِفاخِ في جَسَدِه...

وبَعْدَ سَبْعِ ليالٍ ، ماتَ كما يَمُوتُ طُغَاةُ الدُّنْيا ، ليَلْقَى مَصِيْرَه المَحْتُومَ وهُو الخُلُودُ في نار جَهَنَّم ، وصَدَقَ اللهُ تعالى بِقَوْلِه:

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾.

قال(أبو خالدٍ): ما أَجْمَلَهَا من قِصَّةٍ ، فَفِيها الدُّرُوسُ المُفِيدةُ والعِبَرُ... فماذا اسْتَفَادَ أبو لَهَبٍ مِنْ عَدَاوتِه لِلدِّين؟!.. وما أَكْثَرَ ما لاقاهُ المُسْلِمُونَ..؟!

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ